

المحاضرة الأولى: مدخل مفاهيمي حول التنظير العلمي

مفهوم التنظير:

قبل التعرف على مفهوم النظرية، سنحاول في بداية المحاضرة التحدث عن مفهوم التنظير وماهيته باعتباره العملية التي تسبق والتي تؤدي إلى تأسيس النظرية. وعليه يمكن القول أن التنظير هو عملية التفكير والتحليل والاستقراء والاستنباط التي يقوم بها الباحث بهدف تطوير فكرة أو مفهوم معين أو استكشاف دلائل تمكنه من صياغة نظرية يفسر من خلالها الأسباب المتعلقة بظاهرة ما. ويتضمن التنظير استخدام العقل والتأمل والبحث لفهم موضوع معين أو حل مشكلة ما. ويرتكز التنظير على العلم والملاحظة والتجريب لاستكشاف الحقائق والأسباب والعلاقات والعوامل المختلفة. فالتنظير يعتمد بشكل أساسي على العقل والمنطق والبحث والتفكير النقدي لفهم وحل المشكلات وتطوير الأفكار.

التطور التاريخي للتنظير:

يمكن القول أن عملية التنظير بدأت منذ إدراك الإنسان أن له قدرات عقلية تمكنه من عمليات التفكير والتحليل والاستنتاج المنطقي لمختلف القضايا التي عايشها، وذلك منذ مئات بل آلاف السنين، أي منذ عهد الفلاسفة القدامى في الحضارات القديمة كاليونانية والإغريقية والرومانية والصينية. بينما يعد التطور الحقيقي للتنظير مع مطلع القرن الثالث عشر مع علماء الرياضيات والفلك المسلمين مثل البيروني والرازي وحسن البصري وغيرهم من العلماء المسلمين. غير أن التنظير كظاهرة فكرية قائم على أساليب علمية ومنهجية بدأ مع نهاية العصور الوسطى ومع مطلع عصر التنوير بين القرنين الـ16 والـ19. خاصة بعد التطور العلمي للأفكار والمناهج والتي ساهم فيها العديد من المفكرين الغربيين خاصة في أوروبا على غرار غاليليو غاليلي (Galileo Galilei)، ورونيه ديكارت (René Descartes)، وأوغست كونت (Auguste Comte) و جورج هربرت ميد (George Herbert Mead).

أهمية التنظير في العلوم:

يساهم التنظير في التقدم والابتكار في مختلف المجالات العلمية. فهو وسيلة مهمة لفهم العالم والبيئة الطبيعية والاجتماعية. ومنه فإن التنظير هو عملية تأسيس أو تطوير النظريات العلمية التي تشرح الظواهر والمفاهيم المعقدة، وتوفر إطار مفاهيمي يُسهم في تطوير المجال البحثي. من خلال عمليات التفكير التي تؤدي إلى الوصول إلى حلول وتفسيرات واكتشاف العلاقات التي تحكم الظواهر.

مراحل التنظير:

1. **تحديد المشكلة أو الفكرة:** وتبدأ عملية التنظير بتحديد المشكلة، والقيام بتفحص الظاهرة بتعمق وتأمل وبشكل منهجي.
2. **البحث وجمع المعلومات:** وفي هذه المرحلة يجمع المنظر المعلومات والبيانات ذات الصلة بالمشكلة من مصادر مختلفة.
3. **التحليل والتفكير للمعطيات:** ويتم ذلك من خلال تحليل المعلومات باستخدام العقل والمنطق بشكل علمي وموضوعي.

مجالات التنظير:

1. **التنظير في الفلسفة:** ويهتم بفهم الحقائق الأساسية حول الإنسان والعالم الخارجي.
2. **التنظير في الديانة واللاهوت:** يهتم بالبحث عن معنى الحياة والوجود وغيرها.
3. **التنظير في العلوم التجريبية:** وهو من أجل استكشاف القوانين والمفاهيم الجديدة بواسطة التجارب والتحليل والاستدلال العلمي والمنطقي.

4. **التنظير في العلوم الانسانية والاجتماعية:** ويتمثل في أساليب البحث المختلفة التي تستخدم لجمع البيانات والأدلة التي تدعم أو تدحض فرضيات نظريات العلوم الإنسانية والاجتماعية. إذ يهدف التنظير في هذا الميدان إلى إضفاء الفهم والمعرفة العلمية على الظواهر الاجتماعية والإنسانية بشكل أعمق في عدة مجالات من بينها:

- 4.1. **التنظير في العلوم الاجتماعية:** هو نهج أو إطار فكري يُستخدم لفهم وتحليل الظواهر الاجتماعية. إذ يهدف التنظير إلى توفير نظريات ومفاهيم تساعد على فهم آليات التفاعل التي تتم بين الأفراد داخل المجتمعات. كما يساعد التنظير في توجيه الأبحاث الاجتماعية من أجل فهم العلاقات بين الهياكل الاجتماعية والسلوك الفردي أو الجماعي.
- 4.2. **التنظير في التاريخ:** ويوجه التنظير التاريخي اهتمامه نحو فهم السياق التاريخي الذي حدثت فيه الأحداث. وكذا دراسة الأحداث في إطار الزمان والمكان الذي حدثت فيه.
- 4.3. **التنظير في العلوم السياسية:** ويعود تاريخ التنظير السياسي إلى العصور القديمة، حيث وجدت النقاشات حول الحكم والسلطة في أعمال الفلاسفة اليونانيين مثل أفلاطون وأرسطو.
- 4.4. **التنظير في الاقتصاد:** ويعتمد على استخدام النماذج الرياضية والتحليل الكمي في تفسير وتحليل الظواهر الاقتصادية من أجل توجيه السياسات الاقتصادية بشكل أفضل.
- 4.5. **التنظير في مجال علوم الإعلام والاتصال:** والمقصود به هو فهم الظواهر الاتصالية والإعلامية التي تشكلت بفعل ظهور وتطور وسائل الإعلام والاتصال، من خلال دراسة عناصر الاتصال الأساسية التي تتمثل في المرسل، الرسالة، الوسيلة والمستقبل.